فوزى المعلوف وآثاره

للأستاذ فائز ج. عوده

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه دراسة جديدة عن علم من أعلام الأدب الحديث تظفر به المكتبة الاستشراقية فى اللغة الفرنسية من أديب شرقى تقدم بها كأطروحة إلى جامعة باريس لينال عليها إجازة الدكتوراه فى الآداب . والدراسة تمتاز بطابعها المدرسى فى العموم وكونها أقرب إلى التثبت العلمى منها إلى التخيل والنظر فى المنهج ، ففيها رجوع إلى المصادر واستقصاء لها ، ودلالة على مناحى أهميتها مما تجده مبذولاً فى قائمة المصادر والمراجع ، وبعد ذلك ترى الضمّ للعناصر المتفرقة من المراجع بلا تعديل ومناقشتها بإحكام ، ثم بعد ذلك الرجوع إلى ما يتصل بها من آثار فوزى المعلوف ، والخلوص من ذلك بأحكام تغلبها نزعة التقدير

تستهل الدراسة بمقدمة عن الشعر العربى الحديث فى طليعة القرن العشرين ، يتناول فيها صاحب الأطروحة بالبحث انبعاث روح النهضة فى الشرق العربى وخاصة لبنان ، مبيناً الأسباب التى كانت تعوقه عن أن يدور فى آفاق الحياة الجديدة ، التى أخذت منها سوريا بطرف ، وهذه الأسباب تعود إلى نظام الحكم ـ عنده ـ وهو لهذا يرى أن الشعر العربى السورى لم ينهض إلا فى المهجر سواء كان مصر أم أمريكا . وهو يرى فقدان زعيم المدرسة اللبنانية فى الشعر ، وقد تخرج على مذهبه الإبداعى جل المجددين فى الشعر

فى صميم الحكم والقضاء ، فلما أن جاء العصر العباسى وكثر فيه الغرباء عن العرب وانتصر السفاح بمساعدة الخراساني وهو فارسى أصبح الفرس يتدخلون فى الحكم مجاهرين (أن الدولة لم تقم إلا على سواعدهم وازدادت هذه التدخلات بعد أن انتصر المأمون على أخيه الأمين بقوة جيش خراسان أيضاً . ولم تزل هذه العناصر الغريبة تلح على الأمة الإسلامية حتى انحطت إلى ما هى عليه الآن . ولو قدر الله أن يبقى الحكم فى يد العرب لازدهرت الأمة الإسلامية ولما انحطت إلى ما هى عليه اليوم

إن المسلمين العرب اليوم فى حاجة قصوى إلى الاتحاد والاتفاق مع المسيحيين العرب الذين يشاركونهم لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وليس من العقل فى شىء أن نترك أخانا وجارنا المسيحى العربى من أجل هندى بعيد لا تربطنا به عادات ولا لغة ولا تقاليد ! تقولون بعد : (إن كل مسلم فى سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندى أو اليابانى أو الأوربى أخ له الخ)

وهذا صحيح ، ولكن هل تعتقدون أن المسلم الهندى يفيد المسلم المصرى أو السورى أكثر مما يفيده المسيحى المصرى أو السورى ؟ ها هى ذى فلسطين الذبيحة تكوى بالحديد وبالنار فهل رأيتم هندياً أو يابانياً مسلماً تطوع للدفاع عنها حيث يتعانق الهلال والصليب وحيث يقف المسيحى إلى جانب المسلم يدفعان معاً شر المستعمر المغتصب؟

إن حلول الأمم الأجنبية فى بلاد المسلمين العرب أكثره مسبب عما يسمونه (حماية الأقليات) وحين يأتى يوم تنطق فيه العقيدة العربية على لسان المسيحيين العرب المخلصين (إننا لسنا أقليات بل نحن من صميم الأمة) حين يأتى ذلك اليوم فإن الأمم المستعمرة لا تجد أمامها من هو محتاج إلى حماية فتنسحب

لقد أعطتنا (فلسطين) درساً وافياً فى القومية وفى العقيدة فها هى ذى تكاد تتلاشى (لا سمح الله) والدولة التركية المسلمة لم ترفع صوتها باحتجاج واحد . قد تستطيع الأمم الإسلامية أن تعقد اتفاقاً تشكل منه دولة واحدة لها سيادة ولكن معنى ذلك هو ذوبان العرب فى بقية الدول المسلمة القوية

فى مقدور المسلم أن يوثق علائقه بإخوانه المسلمين أين كانوا وهو جاد فى حقل (القومية العربية) ومخلص للقضايا الوطنية الشريفة

(طرابلس) محمد على عطارى

العربي ، يذكر منهم جبران ورشيد أيوب ، ويرى فوزى المعلوف منهم . على أنه يخطئ حين يقدر أن مطران هاجر إلى مصر عام ١٨٨٤، والصحيح أنه نزلها صيف عام ١٨٩٢ كما جاء فى المبحث السابع من دراساتنا عن مطران بمقتطف يوليه سنة ١٩٣٩ ، كذلك لم يلاحظ الكاتب أن مطران وإن أثر على جبران ورشيد أيوب وفوزى المعلوف ، فقد كان تأثيره على جبران من جهة الطلاقة الفنية، وللجبران بعد طبيعته الخاصة وأخيلته وأجواؤه. أما رشيد أيوب وفوزى المعلوف فقد وقفا من مطران موقف التأثر التام بمعنى سوق أغراضه الشعرية ، يظهر ذلك فى وحدة القصيد وسلسلة المعانى وبث فكرة مطردة فى القصيدة ، وهذا ما فطن إليه الكاتب بالنسبة لفوزى المعلوف فى أكثر من موضع من الدراسة . على أنه يعود فى المقدمة فيشير إلى تأثر أحمد شوقى بمطران فى بدء شبابه ، وما بدا من أثر مطران فى النثر التوقيعى prose rythmée (الشعر المنثور) . ويلج المؤلف فى غمام هذه المقدمة المحيط العائلى والاجتماعى بالنسبة لفوزى المعلوف ، وهو يقف من هذا المحيط عند المجمل منه دون أن ينزل إلى تفاصيله ، أو يدل على روحه ، الشىء الذى تأثر به فوزى المعلوف فجاءت شخصية متأثرة بأربابه

والفصل الأول — من القسم الأول وهو عن الشاعر فى لبنان — وقف على مولد الشاعر ونشأته . وفى هذا الفصل يقف المؤلف من طفولة الشاعر ونشأته عند حد النسيج الخارجى المربوط للزمان دون أن يحاول النزول إلى أعماق الطفل فيظهر بدرات روحه وخلجات نفسه ، ومن هنا جاء عيب ملحوظ على الدراسة تكاد تراه فى كل الفصول التى ترتبط بالترجمة عن حياة الشاعر . والفصل الثانى من هذا القسم وقف على الكلام عن آثار الشاعر الشعرية فى الفترة الأولى من حياته ويجىء بعد ذلك الكلام عن المستر سلات Essai التى تذهب منحى الفن المسرحى

أما القسم الثانى فيجىء عن الشاعر فى البرازيل . الفصل الأول عن قصائده التى تذهب مذهب المقطوعات : أما الفصل الثانى فوقف على الكلام عن بساط الريح والفصل الثالث عن أسئلة الأدب ، ويجىء بعد ذلك فصلان : الأول عن فكرة الشاعر والثانى عن فنه وفى ختامهما ملخص يتألف من مجموعها القسم الثالث من الكتاب ، وفى نهاية الكتاب ملحقان الأول يحصر آثار المعلوف والثانى يحمل النص العربى للشعر الذى استشهد به فى الدراسة ، ففهرس لأسماء الأعلام ، فقائمة بمواد الدراسة

وهذا العرض السريع لترتيب فصول البحث يبين مقدار تمكن المؤلف من الروح المنهجية فى البحث التى جعلته يقسم بحثه تقسيما معقولاً ، على أن فى الكتاب بعض هنات بسيطة جاءت فى العموم فى المواقف التى عرض فيها لفوزى المعلوف بالنسبة لشعراء آخرين ، ويظهر أن سبب ذلك يرجع إلى أن الكاتب وقف فى دراسته عند آثار المعلوف فلم يعدها إلى آثار الآخرين الذين تتصل شخصياتهم أو آثارهم بشخص المعلوف أو فنه الشعرى. من ذلك كلامه عن مطران ومقارنة فوزى المعلوف به ، فهذه المقارنة خطأ من جهة المنحى الذى ذهب إليه المؤلف، فقد قرر أن مطران وقف عند حد التعبير عن إحساسات الحب (عاطفيا) sentiments d'amoureux فى حكاية عاشقين بعكس فوزى المعلوف الذى ارتفع فى ملحق على بساط الريح إلى آفاق فلسفية تتصل بعالم ما وراء الطبيعة ، ومن هنا جاء ما عند فوزى المعلوف فى بساط الريح — فى نظر المؤلف — من الصراع بين الروح والجسد . وهذه الملاحظة وإن كانت صادقة ولكن إطلاقها بعد ذلك على الشاعرين فيه شىء من الخطأ لأن المسألة ترجع فى ذلك الحين إلى كل آثار الشاعرين والطابع العام لشعرهما ، وفى ذلك الوقت لا أظن أن هذا الحكم يتسق خصوصاً ومايعرف عن شعر الخليل فى ملحمته « نيرون » أو قصيدته «رعمسيس» أو قصة « الجنين الشهيد » مثلاً

على أننا بعد ذلك لا ننكر ما قد أظهره المؤلف فى دراسته من النظر، خصوصاً فيما أخذه على الناقد المعروف الأستاذ صديق شيبوب وما أبداه من مقارنة بين الشاعر موضوع الأطروحة ، وبين رديارد كبلنج .

والدراسة فى العموم غنم عظيم للمكتبة العربية ، وللأدب العربى الحديث

اسماعيل أحمد ادهم

الى المشتركين بالتقسيط

لقد اشترطنا حين فتحنا باب الاشتراك المخفض للطلاب ولرجال التعليم الالزامى أن تكون الأقساط متتابعة والاخلال بهذا الشرط يستوجب إلغاء الاشتراك . فكل من لم يسدد باقى الاشتراك ستقطع عنه الرسالة والرواية ابتداء من هذا العدد .